# زوجة بمقابل

هاتفه يرن وما من مجيب ..

أيام وهو مغلق ..

لم تسمع صوته منذ مدة طويلة ..

لم تر حتى وجهه ..

تجلس منفردة على طاولة الطعام تنتظر عودته، وربما تحوَّل الغداء إلى عشاء .. وبالرغم من علمها أنَّه لم يلتفت إلى الوقت ولم يتكبَّد عناء التفكير بها وهو يتناول ما لذَّ وطاب برفقة صحْبه وأحبابه إلا أنَّها مع ذلك تنام بمعدة خاوية ..

أتى مستعجلا وخرج مستعجلا ..

لم يُلقِ التحية ولم يقل إلى اللقاء .. ولربما أنَّه صافح مقبض الباب أكثر ممّا صافحها ..

أحاديثه مقتضبة ..

وتنحصر إجاباته بين نعم ولا ..

أمّا ابتسامته فقد غابت مُذ أفلت شمس أبيها ..

كُلّما كانا معًا ..

تلك الدقائق البسيطة التي لا تُعد والتي لم تكن يومًا لها ..

كان الشرود والتململ جليسه وقرينه ..

هي أمامه وهو لا يشعر بها ..

لا يلتفت إليها مهما بذلت من جهد ..

وكأنّما قد أغلق في وجهها كُلَّ منافذ الإدراك التي قد تستوعب بذلها ..

كالحاضر الغائب ..

موجود وغير موجود ..

لا يدري ..

حجم الحب الذي يحوم حوله ..

يتتبَّع آثاره حتى إذا ما أغلق الباب لم يقف مكتِّفا ذراعيه بل فتحه ولحق به ..

إنه الشوق إليه قد صنع من الفراغ الذي خلَّفه قلبًا ضمَّه إليه آملا ..

ذلك الأمل الذي لم يزل متشبِّثًا بشعاع الشمس الزائف حتى تداعى كلُّ شيء ..

الحُبُّ .. الشوق والأمل ..

لم تستطع مجتمعة أن تُنافس ..

قسوة الفراق .. ألم الوحدة .. وشعور المرء بالإهانة .. لتطيش كفة الميزان ..

رسالة من رقم غريب استقبلها هاتفه النقّال ولفضوله فتحها .. لقد كانت منها وقد تعمَّدت إرسالها بهذا الشكل حتى لا تُحذف قبل أن يُعرف مضمونها الذي كان:

" يكنيني الناس بزوجة فلان إلا أني لا أتجاوز قطعة أثاث مرمية في أحد الأركان، بل أنا أسوأ من ذلك .. أنا تلك المنبوذة المصابة بمرض لعين ذي عدوى قاتلة لا يتجرَّأ أحد على لمسها أو الاقتراب منها ..أعلم بأني مهما قلت وفعلت فلن يتغيَّر شيء .. لن تهتم بي كزوجة ولن تلتفت إليَّ كفتاة التقيت بها صدفة.. أعلم بأنَّك تنتظر موتي لترث كلَّ شيء .. أتساءل أحيانا لِمَ لم تقتلني أو ترسل قاتلا لتحصل على كل شيء .. ربما أنَّه ضميرك من يصدُّك عن ذلك .. هذا جيد .. فعلى الأقل هناك ما هو حيٌّ في داخلك .. ولربما أنَّك تفكِّر بأمر ما .. من يدري .. فأنا الساذجة التي يحلِّق كل شيء من فوق رأسها .. أعلم بأنك تعاني طول الانتظار وترهق نفسك لإنهاء تلك الثروة حتى يأتي ذلك اليوم .. ولكن الوقت قد يطول .. فما رأيك بمن سينهي معاناتك ويريحك من تعبك .. هناك شرط إن قبلت به منحتك نصف ثروتي .. نصف مليار دولار دون زيادة أو نقصان .. التفاصيل عند

محاميّ .. تحدَّث إليه .. وإن قبلت كان لك ما أردت وبقبولك سينتهي كلِّ شيء بيننا " .. وعلى عجل التقى بمحاميها الذي قدَّم له ظرفًا قرأه وعقدًا موقَّعًا من قبلها .. وقَّعه .. وقبيل المساء بقليل كان في المنزل الذي لم يطأه منذ مدة .. عاد مُبتسمًا على غير عادته .. متبدِّل الحال .. يعاملها كزوج مُحب بل كعاشق متيَّم .. تناول العشاء بصحبتها مُستمتعًا وتحدَّث معها كما لم يفعل من قبل عن طيب خاطر، وأخيرا ولجا إلى مخدعهما .. استحمَّ وغيَّر ملابسه وانتظر عودتها من غرفة التبديل .. لحظات تفاجأ بعدها .. عروسنا التي لم تُمَسَّ بعد .. خرجت من هناك امرأة أخرى غير التي كانت منذ قليل فهي كاملة النضوج .. تتدفق أنوثة .. وكلُّ ما فيها يدعو للتأمل .. بدت وكأنَّما برزت للتو من بلورة سحرية .. فهو شعرها المسترسل على أكتافها يداعب أردافها .. وشفاهها التي تعطّرت بلون جذَّاب، وثوبها الأسود الحريري الذي زيَّن قواما ممشوقا كشفت له عن بعض مفاتنه، فألهبت عقله وأجَّجت أحاسيسه كرجل .. مضت تلك الليلة وانتهت، وقبل الفجر بساعة استيقظت واستعدت للرحيل .. رحلت لا تحمل بيدها سوى حقيبة يدها والمنديل الذي أهداه لها .. شاهدي الوحيد على كُلِّ ما جرى ..

لم تستطع التخلِّيَ عنه بالرغم من أنَّه الهدية المُهداة من الرجل الذي لم يبادلها الشعور يومًا وعاملها بامتعاض ..

وعند التاسعة استفاق .. بحث عنها بقربه فلم يجدها .. وبدلا عنها وجد رسالة قصيرة كُتب فيها:

" لا تقلق .. لقد رحلت إلى الطرف البعيد من العالم حيث لن ترى ذلك الوجه الذي لا تطيقه مُجدَّدًا .. لم أتخيَّل يوما أن يكون نصف ما أملك ثمنا لجعل الرجل الذي أوهمني بحبِّه ووقعت بحبِّه يشعر بي .. يلتفت إليْ .. ويمنحني بعضًا من وقته ..

لست نادمة على ذلك الوقت الذي قضيناه معًا، بل أنا ممتنَّة لك .. لأنك كنت صادقًا معي تلك الساعات التي مضت ومع هذا ..

لست مُخطئة ..

فتركُك هو الشيء الوحيد الصحيح الذي كان عليَّ فعله منذ زمن ..

فعلى عكسك تمامًا ..

لديَّ مشاعر وأحاسيس .. لم تُتلفها ..

أموالٌ فانية .. طمعٌ أرعن .. ولم تقع في فخِّ الدنيا كما وقعتَ به أنت ..

أتمنى ألا تجد السعادة أبدا ..

وألا تستطيع شراءها إلا بالمال .. "

رمى رسالتها ولحق بها غير أنَّ طائرتها كانت قد أقلعت .. لم يستسلم .. استغلَّ طائرة خاصة ليصل بالفعل قبلها .. تفاجأت عندما وجدته أمامها وأكثر عندما اقترب منها قائلا:

خذي مالَك ولنعد معًا إلى المنزل ..

ــ ولِمَ عليَّ العودة معك؟

ــ لأني .....

ــ ولكني لم أعد، ثمَّ أعرضت عنه، فحاول منعها، فمنعه مرافقوها بينما تلا عليه محاميها بنود العقد مذكِّرًا إيّاه أنَّ ما بينهما قد انتهى، ولذا فعليه ألا يحاول الاقتراب منها .. الالتقاء أو الاتصال بها بأي شكل من الأشكال

ابتسمت .. إنها السعادة تدغدغ شفاهها لأول مرة منذ مدة طويلة ..

السعادة التي لن يستطيع شراءها بالمال ..

لقد وقع بشرك الحُبِّ الذي تخلّصت منه ..

وعليه أن يتعذَّب الآن كما تعذَّبت ..